جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة : النقد العربي القديم

عنوان المحاضرة : : النقد في عصرما قبل الإسلام

إعداد : الدكتور وسام سعود حسين داود العزاوي

المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

٢٠٢٣ - ٢٠٢٤

wesamalazawy@tu.edu.iq

النقد في عصرما قبل الإسلام

قديماً قالوا ((الشعر ديوان العرب)) ولو توسعوا قليلاً لقالوا أيضاً ((إن الأدب على العموم سجل لهم)) وليس الشعر وحده فالأدب العربي الجاهلي نتيجة صادقة لبيئته ، وحياتهم الطبيعية جعلتهم يقصدون الى أغراض معينة ، استلزمتها الحياة الصحراوية في البادية ، فالحياة عندهم قاسية مجدبة ، و هم في هذه الحياة كانوا يغنون وفقاً لقانون التعويض كالذي نراه في بيئاتنا من أكثر الناس بؤساً في الحياة أشدهم ولوعاً بالتغني ليروح عن نفسه ، وقد كان العربي يغني لنفسه ، ويشرك في غنائه ناقته أو جَمَلِهِ .

من هنا نشأ أول ما نشأ فن الشعر الرجز الذي يساير نغمات سير الجَمَل ، وكان لهذا الرجز أثر سحري في نفس الشاعر وجَمَلِهِ ، إذ يجعلها يسيران مسافة بعيدة من غير أن يتعبا ، ثم تطور الرجز الى القصائد المختلفة الأوزان ، ولكن مع الأسف لم يصلنا من الشعر القديم شيء ، وإنما وصل الينا بعد أن نضج ، وتأريخه يرجع الى نحو قرن ونصف قبل البعثة النبوية لا قبل ذلك . وكان لتنقلات العرب الى العراق والشام وفارس وللأحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت لهم وللحروب التي كانت بينهم أثر كبير في شعرهم ، وعمل كل ذلك عمله في نضج الشعر وصبه في القوالب المعينة ، حتى وصل الينا ناضجاً كما نرى .

فقد تغلبت لهجة قريش على لهجات العرب الأخرى ، واصبحت لغة الشعراء من جميع القبائل واهتدى العرب الى تفاعيل وأعاريض كثيرة نظموا منها أشعارهم ، وذلك من حيث اللغة ، فاما من حيث المعاني فقد حدثت أحداث سياسية واجتماعية كثيرة غذت الذهن وأمدت الشعور وأخصبت الخيال عند العرب ، وتسربت الى داخل شبه الجزيرة العربية الوثنية وتعاليم مسيحية ويهودية ، وارتقت حياة العرب المادية بعض الشيء

واشتعلت الحروب بين القبائل كحرب أسد وكندة وداحس وغبراء وحرب البسوس ، هذه الحياة في صورها المختلفة كانت تستدعي ألسنة ، ولم تكن هذه الألسن إلا الشعراء الذين وضعتهم التقاليد القديمة في موضع مهيب ٠ويروي الرواة أنه كان للعرب أسواق يجتمعون فيها ويتناشدون الأشعار ويتناقدون ، فكان أيضاَ عاملاً اجتماعياَ في ترقيق الألفاظ وتدقيق المعاني وترقية النقد ، وعلى الأخص سوق عكاظ ، ويروون عنه أن النابغة الذبياني برز في نقد الشعراء ، وتفضيل بعضهم على بعض ، كما فضل الأعشى والخنساء .ومن تلك المشاهد التي كانت بين النابغة والشعراء في عكاظ ، أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان بن ثابت ثم شعراء بعده ، ثم الخنساء انشدته قصيدتها في رثاء اخيها صخر التي منها :

وإ ن صخراَ لتأتم الهداةُ به كأنه عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

فأعجب النابغة بالقصيدة ، وقال لولا أن أبا بصير . يعني الأعشى . أنشدني لقلت أنك أشعر الجن والإنس ، فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة ، والخنساء تليه منزلة وجودة الشعر .

ولقد عاب العرب على النابغة الذبياني في الإقواء في قوله:

أمِنْ آلِ ميَة رائحٍ أو مغتدٍ عجلانَ ذا زادٍ ، وغير مُزوَّدِ

زعمَ البوارِحُ أنّ رحلتنا غداً وبذاك خبّرنا الغُرابُ الآسودُ

ففطن فلم يعد الى ذلك ، والإقواء أثر من آثار طفولة الشعر ، ودليل على أن العربي لم يهتد مرة واحدة الى وحدة حركة الروي .

وقد كان النقد المروي لنا نقداً مبنياً على الذوق الفطري ، فنقد طرفة بن العبد مثلاً المتلّمس إذ يقول :

وقد أتناسى الهمّ عند إحتضاره بناجٍ عليه الصَيعريّة مُقدمِ

فقال طرفة : إستنوق الجمل ، لأن الصيعري سمة في عنق الناقة لا في عنق البعير،وروي أن بعض شعراء تميم اجتمعوا في مجلس شراب ، وكان بينهم الزبرقان بن بدر ، والمخبّل السعدي ، وعبدة بن الطيب ، وعمرو بن الأهتم ، وتذاكروا في الشعر والشعراء ، وادعى كل منهم أسبقيته في الشعر ، وتحاكموا فقال الحكم :

أما عمرو بن الأهتم فشعره برودج يمنية ، تطوى وتنشر ، وأما الزبرقان بن بدر فكانه أتى جزوزاً قد نحرت فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك ، وأما المخبّل السعدي فشعره شُهُبٌ من الله يلقيها من يشاء على عباده ، وأما عبدة بن الطيب فشعره كمَزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .

وهذان نوعان من النفد مختلفان ، فالأول ينقد ألفاظاً ومعاني الجزئية ، والثاني يفاضل الشعراء ويبين مزاياهم وعيوبهم ، وهو على كل حال نقد بدائي . وبجانب ذلك

هناك نوع ثالث من النقد ، والحكم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة ، علياً في الجودة بالموازنة بغيرها ، فقالوا : إن قصيدة سُوَيد بن أبي كاهل التي مطلعها :

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصل الحبلُ منها ما انقطع

أن القصيدة جيدة وفريدة ودعوها اليتيمة ، ولم ينظم مثلها .

وقالوا في قصيدة حسان بن ثابت :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأولِ

دعوها البتارة ، أي التي بترت المدائح وأنها من خير القصائد في المدح .

هذه الشواهد تدل على وجود صور من صور النقد الأدبي في العصر الجاهلي ، ومَلَكَة النقد عند الجاهليين ، هو الذوق الفني المحض ، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط فذلك شيء غير موجود عندهم ، وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي وعن طبيعة العصر الجاهلي ، ولئن كان كثيراً من هذه الروايات النقدية غير صحيح ، فإن أساسها كلها صحيح يدل على الذوق البدائي في النقد الجاهلي .